العتاب والشكوى في قصائد علي بن الجهم

أ.م.د. كوران صلاح الدين شكر
جامعة صلاح الدين / كلية اللغات
goselahattin1@yahoo. Com

د. حـــازم برهـــان مصطفـــى
جامعة صلاح الدين /كلية اللغات
Hazim-dlnajjar @yahoo. Com

الملخص:-

يتناول البحث قصائد الشاعر العباسي المشهور بقصائده الفكرية والسياسية ونظرته الجميلة إلى الحياة بعيداً عن التعقيد والغموض وفي أسلوب بسيط قريب المأخذ. وارتأينا أن نتحدث عن العتاب في قصائد علي بن الجهم، فالعتاب من الأغراض الشعرية الرقيقة والدقيقة. فإنه غرض شعري يضع الشاعر في موقف حرج يحتاج إلى براعة وجدارة وحيطة لكي يجعل العتاب متوازناً بين عواطفه وعواطف المعاتب. حيث أن الشاعر قد تعرض إلى مواقف عديدة جعلته عرضة للظلم والغبن وهذا دفعه إلى الشكوى من الدهر والزمن والأيام لاسيما وأن الإحساس بالظلم كان نابعاً من مشاكله مع حاشية المتوكل.

المقدمة:-

بما أن الشعر مرآة للمجتمع فهو يعكس ذات الشاعر وعواطفه وأحاسيسه الفنية والإجتماعية والسياسية من جانب آخر، فالشعر العربي ولاسيما شعر العصر العباسي لم يكن بمعزل عن السياسة والتحزب لاسيما و أن الأحداث التي كانت تعصف بالمجتمع الإسلامي والعربي بشكل خاص في تلك الفترة الحرجة من التأريخ الإسلامي كانت دافعاً لظهور طبقة من الشعراء معروفين بالقرب من السلطة والحكم والإتجاه السياسي الذي ينتمون إليه، فالحالة السياسية لم تكن مستقرة وأنها في ثورة وحركة مستمرتين إمتداداً للأحداث الواقعة في القرن الأول للهجرة من انقسام سياسي للمجتمع وظهور الأمويون كحزب سياسي قومي يطالبون بالحكم ويعلنون الحكم الوراثي بعد تسلمه[١]. وحكموا البلاد حكماً شديداً معتمدين في ذلك القوة فزاد هذا من سخط المجتمع حتى أصبح من المتعذر أن يستمر الحال على ما كان عليه من القساوة والظلم. لذلك

نجد الأحزاب قد نشطت في هذه الفترة كالخوارج والشيعة الذين كانوا ناقيمين على الحكم في هذه الفترة إلى جانب هذا كانت الدعوة العباسية تأخذ مكانها في المشهد السياسي وتستلم الحكم من الأمويين وتخفف من العصبية القبلية مع عدم التنازل عنها بشكل تام لذا نرى عناصر غير عربية في الحكم مع العرب[٢]إلى درجة تم بها سيطرة عناصر غير عربية على مناصب مهمة من الدولة.

كان لآستقرار الدولة الجديدة وانتقال الحكم إلى البيت العباسي أثر كبير في شعراء العصر إذ كان للعامل السياسي حظه الكبير في توجيه شعراء كل عصر ولاسيما حيث تتسع مظاهر التأثير في الأحداث الواقعية[٣]، فكان مقتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين وكانت هذه الحادثة مصرع الخلافة ومجد الأتراك[٤] وفي ذلك يقول علي بن الجهم[٥] في هذه القصيدة[٦]:-

بَني هاشمٍ صبراً فكلُّ مُصيبةٍ سَيَبلى على طُولِ الزَّمانِ جديدُها

عبيدُ أميرِ المؤمنينَ قتلنـــــهُ وأعظمُ آفاتِ الملوكِ عبيدُهـــــا

ويمكن القول أن الدعوة العباسية كانت تقوم على فكرة دينية ذات شقين؛ الأول إعادة سلطان الدين إلى مكانه من الحياة الإسلامية والثاني أن الحق الموروث يجب أن يعود إلى أهله ومن هنا كان من الطبيعي أن تجتذب اليها عدداً من الشعراء يؤكدون هذا الحق في شعرهم ويمدحون الخلفاء العباسيين، وكان من الطبيعي أن يكون الشعراء الملتفون حول الخليفة من أعداء العلويين ومن المبشيرين بالخلافة العباسية وعقيدتها[٧] ، ويقابلهم الشعراء الملتفون حول العلويين[٨]. أنظر إلى قصيدة علي بن الجهم وهو يمدح الخليفة العباسي المشهور المتوكل[٩]:-

وما أنا ممَّن سارَ بالشَّعرِ ذكرُه ولكنَّ أشعاري يُسيَّرها ذكـــــرِي

وللشِّعرِ أتباعٌ كثيرٌ ولم أكـــــنْ له تابعاً في حالِ عسرٍ ولايسرِ

وما الشعرُ ممَّا أستّظلُّ بظلِّهِ ولا زادني قدراً ولا حطَّ منْ قدري

ولـــــكنَّ إحسانَ الخلفيةِ جعفرٍ دعاني إلى ما قلتُ فيهِ من الشِّعرِ

هناك قصائد كثيرة للشاعر في مدح الخلفاء والأمراء الذين عاصرهم من أجل التقرب منهم وتحقيق المكاسب والمصالح الشخصية، وكانت مدائحه تعبر عن الصدق الفني في معانيه وتعابيره، وهو يمدح معظم الخلفاء في انتصاراتهم على الأعداء ويصف عدالة حكمهم. وكان علي بن الجهم، كما وصفه إبن المعتز، "شاعراً مطبوعاً قادراً على أن يطبع لسانه حيث يشاء، و أن يطرق أبواب الشعر المعروفة في عصره كلها"[١٠].

العتاب[١١] والشكوى[١٢] في قصائد علي بن الجهم:-

لم تفرد لغرض العتاب عند علي بن الجهم دراسة مستقلة من قبل بينما كانت هنالك دراسات للأغراض البارزة الأخرى في قصائد الشاعر كالمديح ، والهجاء ، والغزل ، وغير ذلك من الأغراض الشعرية و إن تقديم فكرة مبسطة عن هذا الموضوع في قصائد الشاعر يسهم في تحقيق أهداف البحث ، ويسلط الضوء على جانب واسع من جوانب علاقات الشاعر الإجتماعية لاسيما وأن للتحولات الإجتماعية والسياسية والثقافية التي حدثت في العصر العباسي الأثر في الشعر من حيث البواعث، والموضوعات فقد بقي موضوع الشعر في هذا العصر كما كان.

حياة الشاعر كانت مليئة بالأحداث العجيبة منذ الطفولة وكان والده قد تولى العديد من وظائف الدولة وذلك بتعاقب الخلفاء، هذا ما يدل على أنه كان لأسرته بعض الجاه والوجاهة!! لذا نشأ الشاعر في حياة تتميز بطلب العلم، وقد حضر الكتاتيب وإنه كان مشاغبا في طفولته كثير الحركة حتى انزعج والده من كثرة لعبه وشغفه بالبيت، فطلب من معلمه أن يسجنه ففعل، فاغتاظ الشاعر من والده وكتب إلى أمه مستغيثا[١٣]:-

يا أُمَّتاه أفديكِ مـــــنْ أمٍّ أشكُو إليكِ فظاظةَ الجهمِ

قدْ سرَّحَ الصِّبيانُ كلُّهمُ وبقيتُ محصوراً بِلا جرمِ

يبدو أن أولى محاولات الشاعر كانت من جنس الهجاء التي تتخللها العتاب من الأب والشكوى من سوء المعاملة إلى الأم وهذا مما يدل على أن لسان الشاعر سيكون من حدة سيكتوي الخصوم بنارها لاحقا!! و الملاحظ من هذه المحاولة البدائية للشاعر أنه يستعطف أمه ويشكو من أبيه في أسلوب سهل ورقيق لاسيما وأن الشاعر استطاع أن يعبر عن عواطفه حيال

الحدث والمشكلة ببيتين يدلان أو ينبئان على موهبته الشعرية التي تفتحت مبكراً... فلم يكد ينته من أخذ الدروس حتى قد أصبح شاعراً ينساب منه الشعر بيسر وسهولة.

مع ازدياد خصوم الشاعر تنوعوا وآن الأوان لكي يتخلصوا منه ويقطعوا بينه وبين الخليفة، وبدأ كل منهم يذكره بالقبيح عند المتوكل ويشوهون صورته، والعجيب في الأمر أن الشاعر كان على العلم بخصومه وأعدائه الذين دبروا له المكايد وفسدوا عليه العلاقة مع المتوكل حيث يقول الشاعر في خصومه ويصفهم بما لايحبهم الخليفة [١٤]:-

تضافرتِ الرَّوافض والنَّصارى وأهلُ الإعتزالِ على هجائِي

وربما لم تسنح الفرصة للشاعر أن يشير إلى جميع أعدائه في هذا البيت الشعري وإنما اكتفى بالإشارة إلى البعض منهم على اختلاف دينهم وفكرهم ومذهبهم، فالتضافر تدل على التعاون والمشاركة في شئ أو أمر معين بين أعداء الشاعر من الروافض والنصارى وأهل الإعتزال من أجل خلق المشاكل له وإفساد الأيام عليه، فالشكوى واضحة كل الوضوح وإن كانت ضمناً سيما وأن ذكاء الشاعر كان يدفع به إلى قلب الوضع على الأعداء والخصوم عن طريق وصفهم بصفات تدل على عدائهم بشكل أو آخر للخليفة والدعوة العباسية، فأراد بالروافض نجاح بن سلمة، وبالنصارى بختيشوع، وبأهل الإعتزال علي بن يحيى المنجم.

العتاب من الأغراض الشعرية الرقيقة التي تختلف عن الأغراض الشعرية المعروفة فالمدح مثلا يصف فيه الشاعر الممدوح بالقيم الإنسانية النبيلة، والهجاء يلجاء الشاعر فيه إلى ذكر مساوئ المهجو، أما العتاب فإنه غرض شعري يضع الشاعر في موقف حرج يحتاج إلى براعة و جدارة و حيطة لكي يجعل عتابه متوازناً بين عواطفه وعواطف المعاتب، ولذلك كانت طرق العتاب كثيرة تختلف باختلاف أساليب الشعراء في بواعثهم وموضوعاتهم، فالعتب يطلق على فساد العلاقة بين طرفين فيحدث العتب لدى العاتب، فيلوم الطرف الذي أساء المودة أملاً بالأعتاب أو العتبى(رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العتاب).

كانت منزلة الشعراء البارزين لدى رجال الدولة عرضة للمنافسة والضغينة بما يكنه لهم حسادهم فإنهم غالبا ما يتعرضون إلى الغض من منزلتهم ، فيدفعهم ذلك إلى العتاب، ومن الأمثلة الرائعة للعتاب ما قام به الشاعر من عتاب للخليفة المتوكل فقد دفعه جلده وكبرياؤه، وقوة شخصيته في بداية سجنه إلى قول[١٥]:-

يا أحمدُ بن أَبي دؤاد انَّمـــا تُدعـــــى لكلِّ عظيمةٍ يا أحمدُ

بلِّغ أميرَ الـــــــمؤمنينَ ودونَه خوضُ العِدى ومخاوفٌ لا تنفذُ

أَنتم بني عـــــمِّ النبيِّ محمَّدٍ أولـــــى بِما شرعَ الـــنبيُّ محمَّدُ

ما كان مِن حسنٍ فأنتمْ أهلُهُ طابتْ مغارسكمْ وطـــــابَ المحتدُ

أمن السَّوِيَّةِ يابنَ عمِّ محمَّدٍ خصـــمٌ تقرِّبـــــهُ وآخـــرُ تبعدُ

إنَّ الـــــذين سعوْا إليكَ بباطلٍ أعداءُ نعمتكَ التي لا تـــــجحدُ

شهدوا وغبْنا عنهمُ فتحكَّموا فينا ولـــيسَ كغائبٍ منْ يشهدُ

تعددت البواعث في العصر العباسي للإقصاء والإبعاد بين الناس من غير سبب، فالبواعث كانت وليدة عوامل سياسية واجتماعية إنعكست آثارها على رجال الدولة بالدرجة الأساس. وعلى الرغم من أن عتاب الخلفاء ليس جديداً إلا أن البواعث كانت جديدة ، وأسلوب الشاعر فيه يميل إلى الرقة ، والوضوح ، ويمكن أن نعد مشروعية العتاب، وسابق الصلة بين الشاعر والخليفة من أسباب نجاح الشاعر في إيراد ما يسوغ عتابه لاسيما بعد تحولات السياسية والاجتماعية.

يشكو الشاعر من حاله ومما آل اليه الوضع به باطلا دون سبب، حيث دفع به ذلك إلى عتاب الخليفة عتاباً لا يخلو من المخاشنة واللوم، ذلك لأنه خالف الشريعة وهو أولى الناس بالأخذ بأحكامها، فاستمع إلى أقوال أحد الخصمين وأصم أذنيه عن سماع كلام الآخر، مما جعله يحيد عن الطريق الأرشد، وقد اتخذ الشاعر العتاب وسيلة لإسماع صوته إلى الخليفة بعد أن حالت دونه ودون المتوكل الموانع[١٦].

ويركز الشاعر على الجانب الديني عند محاولته معاتبة الخليفة من أجل أن يكون العتاب أشد وقعاً على المعتوب عليه من جانب والمتلقي من جانب آخر، فالخليفة ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأحق به أن يكون عدلاً سيما وأنه لم ولن يكون خصماً له وأنّ ما قيل عنه باطل غير حق، فهم أعداء نعمته أي نعمة الخليفة، فالشاعر عندما يشكو حاله ووضعه لايهمل

ضمنا إستهداف أعدائه فهم من الصغر وقلة الشأن لا يبلغون حد عداء الخليفة فهم بالكاد يعادون عطايا الخليفة ونعمه. رغم كل ما حصل من وقوع الشاعر في السجن والإبتعاد عن الخليفة يظل وفيا له ولحكمه وفكره فهو في بداية القصيدة وإن كان غايته العتاب والشكوى ونيل الإستعطاف لايهمل مدح الخليفة والإشارة إلى شجاعته[١٧]:-

قالت حبستَ : فقلتُ ليس بضائرٍ	حبسي وأيُّ مهنَّـــــدٍ لا يُغمــدُ
أو ما رأيتِ اللَّيثَ يألفُ غيلَــهُ	كبراً و أوباشُ السِّباعِ تـــــردَّدُ
والشمسُ لــولا أنَّها محجوبةٌ	عن ناظريكِ لما أضاءَ الفرقدُ
والبدرُ يدركُــهُ السِّرار فتنجلي	أيَّامـــُـهُ وكأنــهُ مــتــجــدِّدُ
والغيثُ يحصرُهُ الغمامُ فما يُرى	إلا وريِّقُـــه يراحُ ويرعـــــدُ
والنارُ فـــي أحجارِها مخبوءةٌ	لا تُصطلى إنْ لم تُثرها الأزندُ

السجن ظاهرة قديمة في التاريخ البشري ، والهدف منها تحطيم إرداة المسجون ، والقضاء على فاعليته ، وهي محاولة لإسكات صوته ، لجرم ارتكبه أو لشبهة ، أو يكون ظلماً وبهتاناً ، وهذا النوع الأخير هو الذي وقع فيه أصحاب المبادئ و المواقف النبيلة ، ومنهم بعض الشعراء، لذا تركوا مواقف تجاهها وحديث طويل عن مشاعرهم وتجاربهم النفسية والوجدانية ، وصور بارعة لتحديهم للسجن والسجان. فالشاعر في أداء رائع يستفتح داليته المشهور بحوار مع نفسه وما قيل له عن سجنه والأسباب التي أدت به إلى السجن. فالشاعر يصرح ويفصح بما في قلبه من العواطف المحبوسة، فهو يرد على السائل قائلا لا ضرر من حبسه ومما وقع فيه من الوضع.

وان براعة الشاعر وقدرته في توظيف الكلمات في معان مختلفة تخدمه وتخدم الفكرة المطروحة جعلته يفتخر بنفسه وبوضعه من أجل التغلب على محنته، فهو كالسيف سيما وأن ما من سيف لا يغمد ولا يخلد إلى الراحة والسكينة، ويستمر في حواره قائلا ألم ترى الأسد في كبره يخلد إلى الراحة والسكون. وأن لولا حجاب الشمس لما رأينا ضوء الآخرين من الحساد الحاقدين.

يجدد الشاعر الأمل في نفسه وفي نفوس الأخرين لأن البدر عندما تدركه الأيام الأخيرة من الشهر يأفل محضراً بذلك لبداية جديدة للظهور والتجدد، فهو بذلك يتوعد الآخرين بالرجوع والعودة إلى حاله، فالشاعر لم يفقد الأمل سيما وأن عطاء الخليفة مدرك. فالصور الفنية الرائعة تدل على مدى انحباس العواطف الصادقة عنده، فهو كالنار كان مخبوءا في أصله ولا يؤذي أحداً ما لم يثيره الحاقدون، في إشارة واضحة إلى أعدائه لكي يخافوا من غضبه عليهم، ويستمر الشاعر في إيراد الأمثلة في صورته المتكاملة الرائعة[١٨]:-

كمْ منْ عليلٍ قد تخطَّاهُ الرَّدى فنجا وماتَ طبيبــهُ والــعــودُ

صبراً فإن الصَّبرَ يُعْقِبُ راحةً ويدُ الخليفةِ لا تُطاولها يــدُ

والحبسُ ما لــم تغشهُ لدنَّيةٍ شنعاءَ نعمَ المنزِلُ المتــورَّدُ

بيتٌ يجدِّدُ للكريمِ كرامـــــةً ويُزارُ فيه ولا يزور ويحفــدُ

بما أن الشاعر كان شاكياً من وضعه ومما وقع فيه من الغدر والغبن كان معالجاً لنفسه ووضعه. وبمقدرة عالية من القوة يقوم بترميم الصدع الحاصل في حياته ونفسيته، معيداً الأمل الى نفسه بالرجوع وتحسن الحال والأحوال فكم من مريض عاش ومات طبيبه، فإن الصبر مفتاح السعادة والأمل والراحة ولاسيما أن عطاء الخليفة ما مثله من عطاء وسخاء.

يستمر الشاعر في معالجاته الغريبة للوضع، فالسجن ما لم يكن بذنب أو خطيئة نعم المنزل الذي يتوارد عليه الشاعر في إشارة صريحة لإستعداده للرجوع إلى السجن والصبر عليه ما لم يكن بذنب مخل، سيما وأن السجن منزل يجدد للكريم كرامته وعزته، فهو عندما يذكر السجن والوضع فيه يشكو حاله ومما وقع فيه معاتباً بذلك الخليفة في أسلوب دقيق وممتع، فهو لا يقول بأنه غير مذنب مباشرة إنما يخلق من أجل ذلك جواً من الحوار والمحادثة وبيان الحال، فهو سعيد برجوعه للسجن والعودة إليه مالم يكن مذنباً فهناك عتاب صريح من الشاعر للخليفة على اتهامه من قبل أعدائه بتهم لا أساس لها سيما وأن التهم لم تكن مخلة بكرامة الشاعر وعزته. حيث يستغرب الشاعر من كيفية تصديق الخليفة لهذه التهم وهو أدرى الناس به وبأخلاقه.

ولا يقف الشاعر عند ذلك فقط فهو إلى جانب العتاب والشكوى من وضعه نجده يخلق جواً من الفخر والإعتزاز بنفسه وإن كان يعاني من أسر السجن والإبتعاد والحرمان من الحياة

والحرية، ممثلا لذلك بأمثلة من قبيل الشمس والبدر والمطر والعطاء، وعلى العموم ان صوت الذات ينتصر في تطلعها إلى الجديد على مستوى الواقع دون الخروج عن حدود الذات. مما آل به الحبس إلى حبسين، الأول مادي متمثل بالسجن والثاني معنوي متمثل بانكفاء الذات على أحلامها وتطلعاتها في حال من التقوقع بسجنها المعنوي، في مقابل السلطة التي استطاعت أن تستأثر بالواقع لكل معطياتها وإن الغياب الحاصل في ذات الشاعر لا يعني الإختفاء الإجتماعي للشاعر وعدم ممارسته للوعي الذاتي.

مما لا شك قصائد الشاعر التي قالها في السجن نرى أنها ترسم خطاً بيانياً واضحاً لنفسية الشاعر من أول يوم دخل فيه السجن إلى آخر يوم " لقد دخل علي بن الجهم إلى الحبس متعالياً على النكبة، مستخفاً بالنازلة، معتداً بالذات، حريصاً أشد الحرص على الا يشمت أعداؤه به، وألا يقر عيون حساده بضعفه، فلم ينظر إلى الحادثة إلاّ كما ينظر الطود الشامخ إلى الأمواج العاتية التي تصدم سفحه، فهو لا يرى فيها إلاّ دفقات من الماء جاءت لتغسل قدميه، ثم لا تلبث أن ترتد عنهما خاسئة ذليلة"[١٩] ولنقف عند ابيات اخرى للشاعر يعاتب فيها ويعتز بنفسه قائلاً[٢٠]:-

إنْ خسَّ حظِّي من مالٍ تخوَّنهُ صرفُ الزَّمانِ فما عرضيِ بمخسوسِ

أوْ تُغفلوني فأيَّامي تذكِّركـــمْ أوْ تحبسوني فمـــا شعرِي بمحبُوسِ

وهذه من الابيات الرائعة للشاعر في العتاب والشكوى فأن حاله وحظه السيئ ودائرة الأيام عليه ثقيلة جداً، ولكن يعود ويعتز بسبب سجنه فإن كرامته وعرضه مصان خال من أي تهمة، فيعاتب أحباءه وأصدقاءه قائلاً أن الأيام كفيلة بتذكيري سيما وأنه في السجن ولا يمكن أن يطال شعره وكلماته، فالشاعر وإن كان سجيناً مادياً فأنه حر طلق نفسياً من خلال قصائده وكلماته. إشارة منه إلى قوة شعره ومتانة أهدافه التي ماممكن حبسه لأي سبب كان، مبطناً بذلك فخره واعتزازه بنفسه وشعره وفكره.

الملفت للنظر في هذه القصيدة أنه لم يمدح الشاعر المتوكل ولم يستعطفه ولم يتوسل إليه وإنما عاتبه عتاباً أقرب إلى المخاشنة منه إلى الملاينة وأدنى إلى التنديد منه إلى التودد، وكذلك قل ما ذكر الشاعر أعداءه وأشار اليهم خشية تعلية شأنهم، بل أنه تعالى على المصائب إلى حد جعله يمدح السجن ولا يخشى البقاء فيه والعودة إليه تكراراً. ولكن بعد أن طالت عليه النكبة وأن

بقاءه في السجن جعله يتجه إلى مدح الخليفة في قصائده العتابية دون المساس بالإعتذار والإستعطاف حتى يجعل الخليفة يحس به وبنكبته، أنظر إلى هذا المثال[٢١]:-

فَلا زالتِ الأَرضُ معمورةً بِعُمركَ يا خيْرَ عمَّارِهـــــا

تبوَّأتُ بعدكَ قعرَ السُّجو نِ وقَد كنتُ أَرثي لزوَّارِها

كأن الشاعر أراد من خلال هذه القصيدة أن يأتي ببعد آخر في قصائده العتابية، فإلى جانب العتاب والشكوى يمهد الشاعر للإعتذار والإفصاح عن ندمه وحزنه لما آل إليه الوضع فهو يمدح الخليفة محاولاً تذكير الخليفة بنفسه ووضعه في قعر السجن بعيداً عنه وعن سلطانه وكأن الشاعر أراد من توظيف كلمة القعر ان يلفت نظر الخليفة إلى وضعه واليأس من عفوه ومغفرته. وفي مثال آخر يتخذ الشاعر من الشيب الذي اشتعل في رأسه منطلقاً للإفصاح عن همومه ومشاكله قائلا[٢٢]:-

حسرتْ عنـــــيَ القناعَ ظـــلومُ وتولَّت ودمُعها مسجـــومُ

أنكرتْ ما رأَتْ برأْسي فقـــالت أمشيبٌ أَمْ لؤلُؤٌ منظـــومُ

قلتُ شيبٌ وليس عيبـــاً فـــأَنَّت أَنةً يستثيرُها الـــمهمُومُ

واكتستْ لـــونَ مِرطِها ثم قالت هكذا منْ تَوَسَّدتهُ الهمُومُ

ليس عنـــدي وإنْ تغضَّبت إلاَّ طاعـــةٌ حرَّةٌ وقلبٌ سليمُ

وانتضارُ الرِّضى فإنَّ رضى السَّا داتِ عزٌّ وعتبهم تقوِيـــــمُ

فهذه الابيات تمثل شكوى الشاعر من حاله في السجن والذي أدى به إلى الشيب واشتعال الرأس شيبا حيث أنه لا يرى في ذلك مشكلةً أو عيباً لأن بياض الشعر إنما جاء حزناً وكدراً على ما كان فيه من الغبن. وهناك نسق جديد للشاعر يمهد فيه للإعتذار وإن لم يصرح بذلك فهو على الرغم من عدم اقترافه ذنباً فهو ملزم بالقبول والرضى لأن رضى الخليفة إنما عزٌ وتعلية شأن، فهو يقر بذنبه بشكل غير مباشر. و يعمد الشاعر إلى ذكر نسب الخليفة الذي يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في قصائده العتابية كثيراً، وكأنه كان صادقاً لمذهبه الديني مدافعاً عن فكره حتى ولو كان مظلوماً يحس بالغبن، أنظر وهو يقول في المتوكل[٢٣]:-

نحنُ في ظلِّ أرحـــمِ الناس بالنـــاسِ وأَولاهمُ ببأْسٍ و جـــودِ

صفوةُ اللهِ وابنُ عـــمِّ نبيِّ اللّـــهِ وابنُ الـــمهديِّ وابنُ الرشيدِ

كلَّ يومٍ نـــراهُ فيـــهِ معافـــى سالماً فهو عندنا يـــومُ عيدِ

هو شمسُ الضُّحى إذا أَظلم الخـــطبُ وبدرُ الدُّجى وسعدُ السُّعودِ

يا بني هـــاشمِ بنِ عبـــدِ مـــنافٍ نسبةٌ حبُّهـــا مِـــن التَّوحيـــدِ

أَنتمُ خيرُ سادةٍ يا بني العبَّـــاسِ فابقـــــوا ونحنُ خيـــرُ عبيـــدِ

بما أنّ العتب يقع بين الأحباء والأخلاء فإنه شعور لابد وأنه يحمل صاحبه حالة نفسية قاسية وكيف لا وإنه يشعر بالظلم والغبن من أقرب الناس إليه سيما وأن القريب كان الخليفة نفسه مما جعل الشاعر يختار طريقة للمعاتبة يكون فيها الأسلوب رقيقاً والنسج على المنوال الديني من ذكر الفضيلة والنسب والتقوى، فهم خير خلق الله داعياً لهم بالبقاء والدوام، فهو بعد مديحه للخليفة يعاتبه عتاباً رقيقاً جداً، مضمناً بذلك معاني كثيرة قد تثير شفقة الخليفة وعفوه ويستمر قائلا[٢٤]:-

حسُبنا الله والخليفةُ مـــن بعـــدُ ومِـــــن بعدهِ ولاةُ العهودِ

غرسُ كفَّيكَ يابنَ عمِّ رسولِ اللّـــــهِ أنشأْتني وأَورقتَ عُـــودي

أَنتَ كثَّرتَ حاسيديَّ وقد كنـــــتُ زماناً لا أَهتدي لحسُودِ

ولو كان الشاعر ذا مكانة إجتماعية مرموقة فهذا من أفضال الخليفة فهو ابن عم الرسول كفيل بمن يراعيه ويتخذه خليلاً وقريبا، فهو بدون أي شك كان السبب لكثرة حساده، سيما وأنه يتذكر أياماً لم يكن من أحد يعرفه حتى يحسده، فالمديح هنا يتضمن عتاباً رقيقاً بعيداً عن الخشونة والشكوى هذا ما يجعل القصيدة هي أقرب إلى الإسترضاء والإستعطاف عن الشكوى والعتاب. و المشاعر التي كانت تسيطر على الشاعر وهو في السجن دفعت به إلى الإنزواء والإبتعاد عن الناس وهذا ما جعله يشعر بعاطفة جديدة وهي الغربة النفسية والمكانية في قصائد العتاب جعل تلك القصائد منبعاً للشكوى. ونعود لنؤكد أن العتاب الموجه للخليفة كان أقرب إلى الرقة من الخشونة في العموم، أنظر إليه وهو يقول[٢٥]:-

خليليَّ ما للحُبِّ يزدادُ جــــــدَّةً على الدهرِ والأيَّامُ يبلى جديدُها
وما لعُهودِ الغانياتِ ذميمـــــةً وليلي حــرامٌ أَنْ تذمَّ عهودُها
ألمَّتْ وجنحُ الليلِ مُرخٍ سدولَه وللسجنِ أحْراسٌ قليلٌ هجودُهــا
فقلتْ لها أنّي تجشَّمتِ خطَّــةً يحرِّجُ أنفاسَ الرِّياحِ ورودُهــــا
فقالتْ أطعْنا الشوقَ بعدَ تجلُّدٍ وشرُّ قُلوبِ العاشقينَ جليدُهــــا

يستفتح الشاعر قصيدته بشكوى تحتوي مشاعر تجيش من الظلم وتشكو الحب الذي يتجدد ولكن الأيام تذهب وتمضي بالشاعر وتقربه من الفناء والعدم. فالليل يعيد الذكريات والعهود القديمة سيما وأن الليل قد أحل بظلامه على الشاعر فهو يشتاق بقلب مفعم بالعتاب والشكوى، ويستمر قائلا[٢٦]:-

وأَعلنتِ الشَّكوى وجالتْ دموعُها على الخدِّ لمَّا التفَّ بالجيدِ جيدُها
فقلتُ لها والدمعُ شتَّى طريقُـــه ونارُ الهوى بالشوقِ يُذكي وقودُها
إذا سلمتْ نفسُ الحبيبِ تشابهتْ صروفُ الليالي سهْلُها وشديدُهــــا
فلا تجْزعي إمــَّـــــا رأيتِ قيودهُ فإنَّ خلاخيلَ الرجالِ قيودُهــا
ولا تُنكري حال الرَّخاءِ وفوتَـــه فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يعيدُهــــا

بما أن لكل نص موضوعا يعالجه، سيما وأن الشاعر يطرحه في قصائده ليفصح عما في نفسه من العواطف وقد تكون الفكرة واضحة أو غامضة تحتاج إلى التحليل والدراسة لكشف ما في داخلها، وعلى العموم أن النزاع الحاصل بين الحضور والغياب في النص أثار جدلية، وأن حضور الموضوع في القصيدة يتآتى من خلال البيت الأول، الا أن الحضور لم يكن واضحاً جلياً للقارئ إذ تلفه ضبابية يتلمسها القارئ بعد التأني والقراءة المتتالية. إذ أن الشاعر يخاطب صاحبيه فيتوجه إليهما بالشكوى من الزمان الذي يأتي على كل ما هو جديد فيحيله إلى بالٍ عتيق، وإن الشكوى عند الشاعر ما هي الا غياب للموضوع الذي يريد الشاعر إيصاله إلى القارئ، إذ يأخذ الزمن صفة التسلط على الإنسان، وليس الدهر الا معادلاً للسلطة المتجبرة المتغطرسة على الإنسان، فالأساس في هذه القصيدة لم تكن الشكوى، بل أن حضور فكرة

الشكوى هو غياب فكرة الرفض التي تمثل أساس الموضوع الذي يختفي وراء قناع الشكوى، فالشاعر أخيراً يرفض واقعه المر المتمثل بالسلطة، خروجاً واضحاً عن فكره السياسي والمذهبي وكان صادقاً في انتمائه الفكري والديني والمذهبي وهذا يمثل نقطة البداية لإعتدال الشاعر وابتعاده الفكري، الا أنه لا يفصح عن هذا الموضوع لأسباب تكشفت أمام فعل القراءة تتمثل بالخوف من السلطة التي لا يمكن للذات الشاعرة أن تقف أمامها وتواجهاها، لذلك يعمد الشاعر في هذه القصيدة إلى خلق جوٍ من الضبابية والغموض عندما يصرح بشكل أو بآخر عما تكمن في عواطف الشاعر وأحاسيسها، فالتعمد واضح لتغييب الأساس، وتعويضه بموضوع الشكوى من الزمان رمز التسلط أو السلطة، ومن هنا فقد أبدل الشاعر الموضوع الرئيس بموضوع آخر أظهره في نصه.

الا أن الوصول إلى دلالة الموضوع الرئيس ليس من الإستحالة بمكان الوصول إليه، فالقراءة المتأنية وربط الإشارات بعضها ببعض تدلنا على فكرة النص المتمثلة برفض السلطة ورفض الواقع الذي يعيش فيه الشاعر من خلال غياب الموضوع الحقيقي أو الواقعي، ونجد هذا الغياب في معظم قصائده التي تحتوي الشكوى والعتاب مكتفياً بالإستبدال والإستدلال للموضوع الرئيس عن طريق التحليل والدراسة، وأن هذا الغياب الذي استأثر بالذات الشاعرة "لايعني عدم وجوده الكينوني والإجتماعي، فهو يمارس وعيه لذاته، ويتواصل في الزمان وينتقل في المكان بشكل ما، أو بآخر، متقطعاً مع الآخر الذي يسعى إلى إلغائه، أو وضعه في دائرة الصمت"[٢٧] فالغياب ليس معناه العدم.

والجدير بالذكر أن مستوى العتب وشكله كان يختلف بحسب الموضوع، فها هو يكون خشناً وثقيلاً عندما يرثي موت المتوكل سيما وأن رجاله و وزراءه لم يحركوا ساكنا لمقتله وموته فهو يعاتب الوزير ورجاله عتاباً ثقيلاً فيه نبرة من الهجاء والخشونة، أنظر له وهو يقول في هذه القصيدة[٢٨]:-

فلمَّا قضتْ حقَّ العراقِ وأهلــهِ أَتاها مِن الرِّيح الشَّمالِ بريدُهــا

فمرَّتْ تفوتُ الطَّرفَ سبقاً كأنَّما جنودُ عُبيدِ اللهِ ولَّتْ بنودُهــا

وخلَّتْ أميرَ المؤمنينَ مجـــدَّلاً شهيداً ومنْ خيرِ الملوكِ شهيدُها

وكانَ أضاعَ الحزمَ وأتَّبعَ الهَوى ووكَّلَ غرّاً بالجيوشِ يقودُهـــا

كأنَّهمُ لــم يعلموا أنهَ بيعــةً أحاطتْ بأعناقِ الرِّجال عقودُها

فلمَّا اقتَضاها ليلةَ الرَّوعِ حقــَّه جرتْ سنُحاً ساداتُها ومسودُهــــا

وباتتْ خبايا كالبَغايا جنوده وفي زورقِ الصيَّادِ باتَ عميدُها

وكأن الشاعر أراد من مرثيته هذه أن يكون صريحاً والموضوع حاضراً سيما وأن الشاعر عندما كان غائباً في موضوعه السابق كان يخشى أن يفقد ما لايتمناه ولكن في هذه القصيدة قد صرح بكل شيئ فمعدن الرجال والأصدقاء إنما يتضح عند الشدة وفي الأيام الحرجة، فالخليفة كان يعتمد على أناس من أمثال الوزير عبيد الله بن يحيى حيث كان جالساً في عمله ينفذ الأمور وبين يديه جعفر بن حامد ليلة مقتل المتوكل، فعندما أخبر بالحادث أمر جعفراً بالخروج فخرج وعاد فأخبره أن أمير المؤمنين والفتح قد قتلا. فخرج فيمن معه من خدمه وخاصته، فأخبر أن الأبواب مغلقة، فأخذ نحو الشط فإذا أبوابه أيضاً مغلقة، فأمر بكسر ما كان مما يلي الشط فكسرت ثلاثة أبواب حتى خرج إلى الشط فصار إلى زورق فقعد فيه. هذا بالضبط ما كان يشير إليه الشاعر في وضوح عندما أراد أن يعاتب الرجال والجنود الذين تعاقسوا في الدفاع عن المتوكل وكأن تخاذل الجلساء والندماء كان سباباً في الإستفراد بالخليفة والفتح.

وبذلك نجد أن قصائد الشاعر في العتاب والشكوى من أهم أغراضه الشعرية لأنها كانت مفعمة بشحنات عاطفية صادقة إلى جانب الصدق الفني مع البراعة في التصوير وصياغة الجملة واختيار الكلمات والمعاني، فالشاعر كان مطبوعاً فصيح اللغة، عذب الألفاظ، سهل الكلام ولا غرابة في لغته، ولاتعقيد في نظمه، مع الجزالة والرقة في الكلام، وهو يحسن اختيار اللفظ ويضعه حيث ينبغي أن يكون. أنظر وهو يقول في هذه القصيدة مشتكياً حاله[٢٩]:-

توكَّلنا علــــى ربِّ السَّماءِ وسلَّمنا لأَسْبابِ الـــــقضاءِ

ووطَّنَّا علــــى غير اللَّيالي نفوساً سامــــحتْ بعدَ الأباءِ

وأفنيَة الملـــــوكِ محجَّباتٌ وبابُ الله مــــبذولُ الفناءِ

فما أَرجُو سواهُ لكشفِ ضرِّي ولمْ أفرغْ إلى غيرِ الدُّعاءِ

ولم لا أَشتكي بثِّي وحزْنـــــي إلى من لايصمُّ عن النِّداءِ

كثيرا ما لم يصرح الشاعر بعتابه والشكوى من الخليفة خشية ضياع المودة والقرب، الا أن هناك قصائد صرح فيها الشاعر بعتابه فها هو يعاتب الخليفة في هذا المثال عتاباً صريحاً بشيء من الرقة، فبعد أن كان يشكو إليه من سوء أمره أصبح يشكو إلى من هو أعظم وأكبر منه الا وهو الله الواحد الأحد وكيف لايشكو إليه وأن بابه مفتوح دائماً للعباد والناس أجمعين، معاتباً بذلك غلق الخليفة لكل الأبواب بوجه الشاعر مذكراً إياه بعظمة الخالق وقدرته على الكل.

كان للشاعر رؤية خاصة في الحياة ومعتركه سيما وأن الشعراء العباسيون تحدثوا عن رؤيتهم للشعر والشعراء والمتلقين ، وهي رؤية تقوم على فهم لطبيعة الشعر وخاصيته وتأثيره النفسي والروحي في المتلقين ، والإمكانات التي من خلالها يستطيع تحقيق هذا الهدف ، فنجد علي بن الجهم يتحدث عن دوافع شعره ، فدافعه للشعر ليس المال وسؤال الرجال ؛ بل دافعه مستمد من طبيعة هذا الشعر ،أنظر وهو يقول[٣٠] :

وقصيدةٍ غرَّاءَ يفنـــــى الدهــرُ قبلَ فنائِــها

لمْ تستمحْ أَيْدي الرجال بمدْحِــها وهجائـــــِها

و في قصيدة أخرى يربط الشاعر بين الشعر وقائله منفذاً بذلك وظيفة جديدة لم يكن الشاعر بمعزلاً عنها وعن نتائجها، فشعره يكتسب الجمال والسيرورة مــن المكانة الــرفيعة للشاعر في مجالس الخليفة ومجالس الشعر والأدب ، يقول[٣١] :

وما أَنا ممَّنْ سارَ بالشِّعرِ ذكْرُه ولكِــنَّ أَشْعارِي يُسيِّرها ذِكْـــــرِي

وما الشِعْرُ مِمَّا أَسْتَظِلُّ بِظِلِّـــــــــهِ ولا زَادَني قدراً ولا حَطَّ مِنْ قَدْرِي

كل هذا يدل على أن الشاعر كان له رؤية خاص في الحياة والأدب والفكر والفلسفة والدين والمذهب سيما وأنه كان صاحب موقف من الأحداث على جميع الأصعدة في الحياة وعلى الخصوص السياسية والدينية ونقصد بالدينية المذهبية طبعاً ، إذ أن الشاعر كان صادقاً في مذهبه وانتمائه الفكري. وكان مدافعاً عن كل ما يؤمن به دفاعاً أحياناً يدفع به إلى التعصب والإبتعاد عن الموضوعية .

الخاتمة

العتاب من الأغراض الشعرية الرقيقة والدقيقة التي تختلف عن الأغراض الشعرية المعروفة فالمدح مثلا يصف فيه الشاعر الممدوح بالقيم الإنسانية النبيلة، والهجاء يلجأ الشاعر فيه إلى ذكر مساوئ المهجو أما العتاب فإنه غرض شعري يضع الشاعر في موقف حرج يحتاج إلى براعة وجدارة وحيطة كي يجعل شعره عتاباً متوازناً بين عواطفه وعواطف المعاتب، ولذلك كانت طرائق العتاب كثيرة تختلف باختلاف أساليب الشعراء في بواعثهم وموضوعاتهم، فالعتب يطلق على فساد العلاقة بين طرفين يسببه أحداهما فيحدث العتب لدى العاتب، فيلوم الطرف الذي أساء المودة أملاً بالأعتاب أو العتبى. فالشاعر عندما يشكو من حاله ووضعه لايهمل ضمنا استهداف أعدائه.

بما أن الخليفة نفسه كان من يعاتبه الشاعر لذلك كان يختار طريقة للمعاتبة يكون فيها الأسلوب رقيقاً وينسج على المنوال الديني من الإشارة إلى فضيلته ونسبه. الا أنه رغم كل ما حصل من وقوع الشاعر في السجن والإبتعاد عن الخليفة يظل وفياً له ولحكمه وفكره فالشاعر وإن كان سجيناً مادياً فأنه حر طلق نفسياً من خلال قصائده وكلماته، مبطناً بذلك فخره واعتزازه بنفسه وشعره وفكره.

والملفت للنظر في بعض قصائد الشاعر أنه لم يمدح المتوكل ولم يستعطفه ولم يتوسل اليه وإنما عاتبه عتابا أقرب إلى المخاشنة منه إلى الملاينة وأدنى إلى التنديد منه إلى التودد، وكذلك قل ما ذكر الشاعر أعداءه وأشار اليهم خشية تعلية شأنهم، بل أنه تعإلى على المشاكل إلى حد جعله يمدح السجن ولا يخشى البقاء فيه والعودة إليه تكرارا.

وكثيراً ما لم يصرح الشاعر بعتابه والشكوى من الخليفة خشية ضياع المودة والقرب، الا أن هناك قصائد صرح فيها الشاعر بعتابه صراحةً بشيء من الرقة، فبعد أن كان يشكو إليه من سوء أمره أصبح يشكو إلى من هو أعظم وأكبر منه الا وهو الله الواحد الأحد وكيف لايشكو إليه سيما وأن بابه مفتوح دائماً للعباد والناس أجمعين.

كل هذا يدل على أن الشاعر كانت له رؤية خاصة في الحياة والأدب والفكر والفلسفة والدين والمذهب سيما وأنه كان صاحب موقف من الأحداث على جميع الأصعدة في الحياة وعلى الخصوص السياسية والدينية ونقصد بالدينية المذهبية طبعاً ، إذ أن الشاعر كان صادقا في مذهبه وانتمائه الفكري. وكان مدافعاً عن كل ما يؤمن به دفاعاً أحياناً يدفع به إلى التعصب والإبتعاد عن الموضوعية . فالشاعر كان مطبوعاً فصيح اللغة، عذب الألفاظ، سهل الكلام ولا غرابة في لغته، ولا تعقيد في نظمه، مع الجزالة والرقة في الكلام، وهو يحسن اختيار اللفظ ويضعه حيث ينبغي أن يكون.

الهوامش

[١] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د.محمد مصطفى هدارة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٩،ص١٦.
[٢] تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول، د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٣، ص١٩٥.
[٣] التيار الأسلامي في الشعر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت، جامعة بغداد- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية، ص٤٢٠.
[٤] الحياة الادبية في العصر العباسي، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية- مصر،الطبعة الاولى ٢٠٠٤، ص١٤.
[٥] هو علي بن الجهم بن البدر بن المسعود ابن أسيد بن ذينة...حتى ينتهي نسبه إلى غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة... ويكنى أبا الحسن وأصله من خرسان وهو شاعر مطبوع عذب الالفاظ سهل الكلام مقتدر على الشعر. مدح المعتصم والواثق وجالس المتوكل. أغلب الظن ولد في بغداد وتفتحت عيناه إلى الحياة بداره في شارع دجيل، وقد درج الشعر في بغداد وهو يعيش عصرها الذهبي اللامع، أنظر إلى:- موسوعة شعراء العباسي، اعداد عبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ج١/١٧١، وانظر إلى:- الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة١٩٧٣، ص٢٥٣.
[٦] ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، بيروت-لبنان،ص ١١٧.
[٧] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٩، ص٩٣.
[٨] التشيع وأثره في الشعر العباسي الاول، د.محسن غياض، مطبعة النعمان، العراق- نجف الاشرف، ١٩٧٣، ص١٣١.
[٩] الديوان، ص١٣٩.
[١٠] طبقات الشعراء لإبن المعتز، تحقيق عبد الستار الخراج، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٥٦، ص٤٦.

[١١] العَتَبَ الـمَوْجِدَةُ. عَتَبَ عليه يَعْتِبُ ويَعْتُبُ عَتْباً وعِتاباً ومَعْتِبَة ومَعْتَبَةً ومَعْتَباً أي وجد عليه. قال الغَطَمَّشُ الضَّبِّيُّ، وهو من بني شُقْرة بن كعب بن ثَعْلبة بن ضبَّة، والغَطَمَّشُ الظالمُ الجائر: أَقُولُ، وقد فَاضَتْ بعَيْنِيَ عَبْرةٌ: * أَرَى الدَّهْرَ يَبْقَى، والأَخِلاَّءُ تَذْهَبُ أَخِلاَّيَ! لو غَيْرُ الحِمام أَصابَكُمْ، * عَتَبْتُ، ولكنْ ليسَ للدَّهْرِ مَعْتَبُ وقَصَرَ أَخِلاَّيَ ضرورةً، لِيُثْبِتَ باءَ الإِضافة، والرواية الصحيحة: أَخِلاَّءَ، بالمد، وحذف ياء الإِضافة، وموضع أَخِلاَّءَ نصبٌ بالقول، لأَن قوله أَرى الدهر يبقى، متصلٌ بقوله أَقول وقد فاضت؛ تقديره أقول وقد بَكَيْتُ، وأَرى الدهرَ باقياً، والأَخِلاَّءَ ذاهبين، وقوله عَتَبْتُ أَي سَخِطْتُ، أَي لو أُصِبْتُمْ في حَرْب لأَدْرَكنا بثأْركم وانتصرنا، ولكن الدهرَ لا يُنْتَصَرُ منه. وعاتَبَهُ مُعاتَبَــةً وعِتاباً: كلُّ ذلك لامه؛ قال الشاعر: أُعاتِبُ ذا الــمَوَدَّةِ من صَديقٍ، * إِذا ما رَابَني منه اجْتِنابُ إِذا ذَهَبَ العِتابُ، فليس وُدٌّ، * ويَبْقَى الوُدُّ ما بَقِــيَ العِتابُ ويقال: ما وَجَدْتُ في قوله عُــتْباناً؛ وذلك إِذا ذكر أَنه أَعْتَبَكَ، ولم تَرَ لذلك بَياناً. وقال بعضهم: ما وَجَدْتُ عنده عَتْباً ولا عِتاباً؛ بهذا المعنى. قال الأَزهري: لم أَسمع العتب والعتبان والعِتاب بمعنى الإِعْتاب، إِنما العتب والعتبان لومُك الرجلَ على إِساءة كانت له إِليك، فاستَعْتَبْتَه منها. وكلُّ واحد من اللفظين يَخْلُصُ للعاتِب، فإِذا اشتركا في ذلك، وذَكَّرَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ما فَرَطَ منه إِليه من الإِساءة، فهو العِتابُ والــمُعاتَبة. فأَمــَّا الإِعْتابُ والعتبى: فهو رُجوعُ الــمَعْتُوب عليه إِلى ما يُرْضِــي العاتِبَ. والاسْتِعْتابُ: طَلَبُك إِلى الــمُسِــيءِ الرُّجُوعَ عن إِساءَته. والتَّعَتُّبُ والتَّعاتُبُ والــمُعاتَبَةُ: تواصف الموجِدَة. قال الأَزهري: التَّعَتُّبُ والــمُعاتَبَةُ والعِتابُ: كل ذلك مُخاطَبَةُ الإِدْلالِ وكلامُ الــمُدِلِّينَ أَخِلاَّءَهم، طالبين حُسْنَ مُراجعتهم، ومذاكرة بعضِهم بعضاً ما كَرِهُوه مما كسبَهم الــمَوْجِدَةَ. وفي الحديث: كان يقول لأَحَدِنا عند الــمَعْتِــبَة: ما لَهُ تَرِبَتْ يمينُه؟ رويت المعْتَبَة، بالفتح والكسر، من الــمَوْجِدَة.(لسان العرب،للامام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري،طبعة جديدة محققة، دار صادر-بيروت،ج١٠/٢٢).

[١٢] شكا الرجلُ أَمْرَه يشْكُو شَكْواً، على فَعْلاً، وشَكْوى على فَعْلى، وشَكاةً وشَكاوَةً وشِكايةً على حَدّ القَلْب كعَلايةٍ، إِلاَّ أَنَّ ذلك عَلَمٌ فهو أَقْبَلُ للتَّغْيير؛ السيرافي: إِنما قُلِبت واوُه ياءً لأَن أَكثر مصادِر فِعالَةٍ من المُعْتَلّ إِنما هو من قِسْمِ الياءِ نحو الجِراية والوِلايَة والوِصايَة، فحُمِلت الشِّكايَةُ عليه لِقلَّة ذلك في الواو.وتَشَكَّى واشْتَكى: كشَكا.وتَشاكى القومُ: شَكا بعضُهُم إِلى بَعْضٍ.وشَكَوْتُ فلاناً أَشْكوه شَكْوى

وشِكايَةً وشَكِيَّةً وشَكاةً إذا أَخْبَرْتَ عنه بسُوءِ فِعْلِه بِكَ، فهو مَشْكُوٌّ ومَشْكِيٌّ والاسْم الشَّكْوى. قال ابن بري: الشِّكاية والشَّكِيَّة إِظْهارُ ما يَصِفُك به غيرُك من المَكْرُوهِ، والاشْتِكاءُ إِظْهارُ ما بِكَ من مَكْروهٍ أَو مَرَضٍ ونحوِه.وأَشْكَيْتُ فلاناً إِذا فَعَلْتَ به فِعْلاً أَحْوَجه إِلى أَن يَشْكُوك، وأَشْكَيْتُه أَيضاً إِذا أَعْتَبْته من شَكْواهُ ونَزَعْتَ عن شَكاته وأَزَلْتَه عمَّا يَشْكُوه، وهو من الأَضْداد. وفي الحديث: شَكَوْنا إِلى رسول الله؛ صلى الله عليه وسلم، حَرَّ الرَّمْضاءِ فلم يُشْكِنا أَي شَكَوْا إِليْه حرَّ الشَّمْسِ وما يُصيبُ أَقْدامَهُم منه إِذا خَرجوا إِلى صَلاةِ الظُّهْرِ، وسأَلوه تأْخيرَها قليلاً فلم يُشْكِهِمْ أَي لم يُجِبْهُم إِلى ذلك ولم يُزِلْ شَكْواهم. ويقال: أَشْكَيْت الرجُلَ إِذا أَزَلْت شَكْواه وإِذا حمَلْته على الشَّكْوى؛ قال ابن الأَثير: وهذا الحديث يذكر في مواقيت الصلاة لأَجْلِ قول أَبي إِسحق أَحد رُواته: قيل له في تَعْجيلها فقال نعَم، والفُقَهاء يَذْكرونه في السُّجودِ، فإِنَّهم كانوا يَضَعون أَطْرافَ ثِيابهم تحت جباهِهِم في السجود من شِدَّة الحرّ، فَنُهُوا عن ذلك، وأَنَّهم لمَّا شَكَوْا إِليه ما يجدونه من ذلك لم يَفْسَحْ لهُمْ أَن يَسْجُدوا على طَرَف ثِيابِهِمْ. واشْتَكَيْته: مثلُ شَكَوْته. وفي حديث ضَبَّةَ ابنِ مِحْصَنٍ قال: شاكَيْتُ أَبا مُوسى في بَعْض ما يُشاكي الرجلُ أَميرَه؛ هو فاعَلْت من الشَّكْوى، وهو أَن تُخْبر عن مكروه أَصابَك. (لسان العرب،للامام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري،طبعة جديدة محققة، دار صادر–بيروت،ج١٢٢/٨).

[١٣] الديوان، ص٢١٢.
[١٤] المصدر نفسه، ص٦٠.
[١٥] المصدر نفسه، ص٩٢.
[١٦] علي بن الجهم حياته وشعره، عبد الرحمن الباشا، دار المعارف، مصر، ص١٩٠.
[١٧] الديوان، ص٨٨-٨٩.
[١٨] المصدر نفسه، ص٩١-٩٢.
[١٩] علي بن الجهم حياته وشعره، ص١٨٣.
[٢٠] الديوان، ص١٥٢.
[٢١] المصدر نفسه، ص١٤٩.
[٢٢] المصدر نفسه، ص١٩٦.
[٢٣] المصدر نفسه، ص١١٠.
[٢٤] المصدر نفسه، ص١١١.
[٢٥] المصدر نفسه، ص١١٢.
[٢٦] المصدر نفسه، ص١١٢.
[٢٧] المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي، محمد خرماش، حوليات الجامعة التونسية، تونس١٩٩٥، ص١٠٤.
[٢٨] الديوان، ص١١٤-١١٥.
[٢٩] المصدر نفسه، ص٥٨.
[٣٠] المصدر نفسه، ص٦٢.
[٣١] المصدر نفسه، ص١٣٩.

المصادر والمراجع

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٩.
٢. تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول، د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٣.
٣. التشيع وأثره في الشعر العباسي الاول، د.محسن غياض، مطبعة النعمان، العراق- نجف الاشرف، ١٩٧٣.
٤. التيار الأسلامي في الشعر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت، جامعة بغداد- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية.
٥. الحياة الادبية في العصر العباسي، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية- مصر،الطبعة الاولى ٢٠٠٤.
٦. ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، بيروت-لبنان.
٧. الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة١٩٧٣.
٨. طبقات الشعراء لإبن المعتز، تحقيق عبد الستار الخراج، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٥٦.
٩. علي بن الجهم حياته وشعره، عبد الرحمن الباشا، دار المعارف، مصر.
١٠. لسان العرب،للامام العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري،طبعة جديدة محققة، دار صادر-بيروت.
١١. المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي، محمد خرماش، حوليات الجامعة التونسية، تونس١٩٩٥.
١٢. موسوعة شعراء العباسي، اعداد عبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع.